وصيّة الله في إنجيل مرقس

الأب د. أيوب شهوان
أستاذ مادة الكتاب المقدس في جامعة الروح القدس، الكسليك
وفي معهد القديس بولس، حريصا

توطئة

"وصيّة الله" "علّة سقوط وقيام كثيرين" (لو ٢: ٣٤). بكونها كلمة الله، هي كحدّ السيف، تفصل، تميّز، تفرّق، ولكن للأفضل، كما جاء يسوعُ ليفعل: "أتيتُ لأفرّق الكنَّة عن حماتها، والابن عن أبيهِ، والابنة عن أمّها" (مت ١٠: ٣٥؛ لو ١٢: ٥٣).

"وصيّة الله" تصبح لدى حافظها مكانَ البرهانِ عن المحبّة: "مَن يحبّني يحفظ كلمتي" (يو ١٤: ٢٣). نعم، الوصيّة الأعظم تقول: "أحببِ الربّ من كلّ قلبك، وقريبك مثل نفسك" (مت ٢٢: ٣٧ و٣٩؛ مر ١٢: ٣٠ و٣١). "إنها إرادة الله فينا بالمسيح يسوع" (١ تس ٥: ١٦)، إنها كلمتُه.

"وصيّة الله" هي أبدًا عطيّة، عطيّة محبّةٍ وحياة. الأبُ يوصي ابنه بما يريد، وبما يهبُه، والابنُ المُحِبُّ، الوفيُّ والأمينُ، يتلقّى ويأخذ، فيضحي مسلَّطًا مكان أبيه على كلّ ما للأب: "كلّ ما هو لي هو لك" (لو ١٥: ٣١). إذا لم تُفهَم "وصيّة الله" بهذا العمق العلائقي، فلن تكون سوى "حِمْلٍ ثقيل" (مت ٢٣: ٤) لا يُطاق، لا بل يَسحق ويُهلِك.

لِنَرَ كيف أبرز مرقس هذا الموضوع، وإلى أين يرمي أن يبلغ بقارئه، مع الإشارة إلى أنّه يكدّس في الفصل السابع معظم وجوه الموضوع:

الفريسيّون هم معلّمو الشريعة، لكنّهم المتمسّكون بتقاليد الشيوخ وبأشياء أخرى كثيرة توارثوها ليعملوا بها، ويَشكونَ تلاميذَ يسوع بأنهم لا يُراعون تقاليد القدماء.

يفضح يسوع معلّميّ الشريعة هؤلاء: "إنهم "مراؤون" (مت ١٦: ٣)، يعبدون الله بتعاليم وضعها البشر، ويُهملون وصيّة الله، ويتمسّكون بتقاليد البشر، وينقضون شريعة الله، ويحافظون على تقاليدهم، يُبطلون كلام الله بتقاليدَ من عندهم يتوارثونها.

١ – وصيةٌ وتقليد

نصادف عبارة "وصية الله" (η εντολη του θεου) في مر ٧: ٨ و٩. ونجد كلمة "وصية" (εντολη)[١] في مرقس ٦ مرّات (رج مت ٦؛ لو ٤؛ يو ١١)، دائمًا في صيغة المفرد، باستثناء مر ١٠: ١٩. أيضًا حيث لا تُضاف عبارة "الله" (του θεου) إلى كلمة "وصيّة" (εντολη)[٢]، المقصود دائمًا هو "وصية الله"، بينما تعني كلمة ενταλμα توصية بشرية"[٣] وحسب. لذا يجب أن تُؤخَذ كل هذه المقاطع بعين الاعتبار في بحثنا.

مقابل "الوصية" التي تأتي من الله أو من ابنه يسوع ، لدينا كلمة "تقليد" (παραδοσις) التي تَرِدُ في العهد الجديد ١٣ مرّة[٤]، والتي مصدرها من الناس؛ إنها "كلمة تقنية تدلّ على نقل العقيدة الشفهية من رابّي إلى آخر"[٥]، أو تشير إلى

(١) "εντολη", in *Theological Dictionary of the New Testament*, edited by G. Kittel, Grand Rapids: Michigan, 1972.

(٢) Gianfranco NOLLI, *Evangelo secondo Marco. Testo greco, neovolgata latina, analisi filologica, traduzione italiana*, Libreria Editrice Vaticana: Città del Vaticano ²1980, p. 167.

(٣) G. NOLLI, *Evangelo...*, p. 168.

(٤) مت ١٥: ٢، ٣، ٦؛ مر ٧: ٣، ٥، ٨، ٩، ١٣؛ ١ كو ١١: ٢؛ غل ١: ١٤؛ كول ٢: ٨؛ ٢ تس ٢: ١٥؛ ٣: ٦.

(٥) G. NOLLI, *Evangelo...*, p. 171.

تعاليم الشيوخ المنقولة شفهيًا أو كتابةً، التي كان اليهود يحترمونها ويضعونها في مكانة التعاليم المكتوبة في العهد القديم(٦).

٢ – وصية الله وتقليد الناس (مر ٧: ٨، ٩، ١٣)(٧)

في الرسالة إلى أهل كولسي، يكتب بولس ما يلي: "حذار أن يخلبكم أحد بالفلسفة، وبغرور باطل وفق **تقاليد البشر**...، لا وفق المسيح" (كول ٢: ٨). فبعد أن امتلأ أهل كولسي من معرفة سر المسيح (١: ٩)، يحذّرهم الرسول من أن يعودوا ينقادون للتعاليم البشرية الكاذبة. إنه بذلك على خطى الرب يسوع الذي وبّخ الفريسيين على "إهمالهم وصية الله"، وعلى "اتّباعهم تقليد الناس".

ففي جدال يسوع مع الفرّيسيين وبعض الكتبة الأورشليميين (مر ٧: ١)(٨)، يوبّخ الربُّ هؤلاء على إهمالهم "وصية الله" ليحافظوا على "تقليد البشر"، مستشهدًا لهذه الغاية بأشعيا ٢٩: ١٣ (LXX)(٩). يُفَسَّرُ هذا الأمرُ بحالة قلبِهم البعيدِ عن الله، كما يعلن الأنبياء الذي يتجذر تقليدهم في الشريعة، على خلاف الفرائض الكثيرة والثقيلة التي صاغها الناس وألقوها على رقاب الناس، كما هي الحال مع "تقليد الشيوخ" الذي أضحى على نقيض "وصية الله"؛ والمثل الصارخ على ذلك هي وصيّة إكرام الأب والأمّ، بحسب ما ورد في خر ٢٠: ١٢(١٠)،

---

(٦) أنظر كلمة "تقليد"، في **دائرة المعارف الكتابية**، دار الثقافة، القاهرة، دون تاريخ، ص ٢٤٣.

(٧) Camille FOCANT, *L'évangile selon Marc*, Cerf: Paris 2004. Id., *Marc, un évangile étonnant*, Leuven University Press 2006.

(٨) "واجتمع إليه الفريسيون وبعض معلّميّ الشريعة القادمين من أورشليم" (مر ٧: ١).

(٩) καὶ εἶπεν κύριος ἐγγίζει μοι ὁ λαὸς οὗτος τοῖς χείλεσιν αὐτῶν τιμῶσίν με ἡ δὲ καρδία αὐτῶν πόρρω ἀπέχει ἀπ' ἐμοῦ μάτην δὲ σέβονταί με διδάσκοντες ἐντάλματα ἀνθρώπων καὶ διδασκαλίας (Is 29, 13).

(١٠) "أكرم أباك وأمّك لكي يطول عمرك في الأرض التي يعطيك الربّ إلهك" (خر ٢٠: ١٢).

وفي تث ٥:١٦[١١]. لذلك، لمّا عزم يسوع أن يبرز خطر تقليد الشيوخ، وأن يبيّن أنّ هذا التقليد قد أضحى تعدِّيًا للشريعة ومساسًا بسلطانها، ومن أجل جَعْلِ خصومِه يميّزون، ولكي يضع حدٍّ لِمُراءاتهم، لجأ إلى ما تنصّ عليه الشريعة المتعلّقة بـ"القربان"، قال:

"٩ ما أبرعكم في نقضِ شريعةِ الله لتحافظوا على تقاليدكم!

١٠ قال موسى: أكرم أباك وأمك، ومن لعن أباه أو أمه فموتًا يموت.

١١ أما أنتم فتقولون: إذا كان عند أحدٍ ما يساعد به أباه أو أمّه، ثمّ قال لهما: هذا قربانٌ، أي تقدمة لله،

١٢ يُعفَى من مساعدة أبيه أو أمّه.

١٣ فتُبطِلون كلامَ الله بتقاليدَ من عندكم تتوارثونها، وهناك أمورٌ كثيرة مثلُ هذه تعملونها".

إنّ "لتقاليد الشيوخ" في نظر الفريسيين القيمةَ عينها التي للشريعة؛ فلقد اعتقد هؤلاء أنهم بهذه التقاليد يستطيعون أن يمنعوا الناس من التعدّي على الشريعة.

لكنّ يسوع، كما أنبياء العهد القديم، يفضح مراءاة[١٢] مَن نصّبوا أنفسهم حُماةَ "التقاليد البشرية"، مستعينًا بأمر يحصل بكثرة، ألا وهو الممارسة اليهودية في ما يتعلّق بالقربان، إذ يُعفَى مِن واجبِ مساعدةِ والدَيه مَن نَذَرَ أن يُعطيَ ما يملكُ من الأموال لصندوقِ الهيكل (لا ٢؛ ٢٧: ٢٨-٢٩)، فلا يستطيع أحد أن يمسّ هذه الأموال، ممّا أتاح المجال للبعض لأن يتهرّبوا من متطلبات الوصية الرابعة من وصايا الله العشر، معتبرين ذواتهم ضمن الأصول الشرعيّة. لقد

(١١) "أكرم أباك وأمك كما أمرك الرب إلهك لكي تطول أيامك وتصيب خيرًا في الأرض التي يعطيك الرب إلهك" (تث ٥: ١٦).

(١٢) رج مت ١٥: ٧؛ ٢٣: ١٥؛ الخ.

"أجازت التوراة تقديم قرابين لله تصبح قُدسًا للرب، ولا يجوز لأحد التصرّف بها (لا ٢؛ ٢٧: ٢٨-٢٩). وتوسّع الفريسيّون فأجازوا للابن أن يقدّم قربانًا لله ما يتوجّب عليه تقديمه لوالديه، عونًا لهما في معاشهما، فانتهكوا وصية الله القاضية بإكرام الوالدين وعونهم"(١٣). وهكذا يُعفى من واجب مساعدة والديه وتأمين ما هو ضروري لهما مَن نذر أن يعطي أمواله لصندوق الهيكل، ومَن خالف هذا "التفسيح" اعتُبِرَ جاهلاً: "لَجاهلٌ هذا الجمعُ بالتوراة، ملعونٌ" (يو ٧: ٤٩). يسهّل هذا التوضيحُ علينا فَهْمَ قول يسوع: "تُبطِلون كلمة الله بتقاليدَ تتناقلون" (مر ٧: ١٣). لذلك، عندما ينتقد يسوع موقفَ خصومه، مُشدّدًا بقوّة على حفظِ "وصيّة الله"، فإنه بذلك يردّ الاعتبار إلى إرادة الله الأساسيّة في وجهِ كلِّ تفسيرٍ بشريٍّ بَحْتُ.

٣ - "كلمة الله" و"التقليد"

ينتهي هذا القسم (مر ٧: ١٣) بعبارة "كلمة الله" (τὸν λόγον τοῦ θεοῦ) في مواجهة عبارة "تقليدكم" (τῇ παραδόσει ὑμῶν). إنّ "التقليد"، وهنا حصرًا "تقليد الشيوخ" (٧: ٥، τήν παράδοσιν τῶν πρεσβυτέρων)، هو مجموعةٌ من الفرائض الشفهية التي ترقى إلى موسى، وتكمّل الشريعة المكتوبة. يسمّيها يسوع "تقليدَ الناس" في مر ٧: ٨ (τὴν παράδοσιν τῶν ἀνθρώπων)، و"تقليدَكم" (τήν παράδοσιν ὑμῶν) في ٧: ٩، ١٣ (رج مت ١٥: ٣، ٦)، أمّا يوسيفوس فيسمّيها "تقليدَ الآباء"(١٤).

(١٣) **الكتاب المقدس، العهد الجديد**، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان ١٩٩٢، حاشية مت ١٥: ٥، ص ١٠٦؛
P. SCHÄFER, "Die Torah der Messianischen Zeit", *ZNW* 65 (1974) 27-42.

(١٤) فلافيوس يوسيفوس، **العتيقات اليهودية**، ١٣، ١٠، ٦، §٢٩٧؛ ١٣، ١٦، ٢، §٤٠٨؛ رج مت ١٥: ٣-٩؛ مر ٧: ٨-١٣؛ غل ١: ١٤.

ويُطرَح هنا السؤال التالي: هل "تقليدُ الشيوخ" هو حقًّا في خدمة الله، في خدمة كلمتِه وشريعته؟ انطلاقًا من "تقليد الشيوخ" راح الفريسيون والكتبةُ يهاجمون يسوع والتلاميذ، فردّ الربُّ منطلقًا من العهد القديم بالذات، مبيّنًا أن "تقليد الشيوخ" قد أضحى على نقيض "وصية الله". أَورَدَ يسوعُ لهذه الغاية نصَّ أش ٢٩: ١٣(LXX): "هذا الشعب يتقرّب مني بفمه، وبشفتيه يكرمني، أما قلبه فبعيد عني. مخافتُه لي وصيةُ بشرٍ تتلمذوا لها". ويؤكد النصُّ العبريُّ أنّ مخافةَ الشعبِ للربِّ ما هي إلاّ وصيةٌ بشرية"(١٥).

بحسب السبعينية، لا جدوى من "إكرامِ" (τιμεω) الله و"عبادتِه" (σεβοσμαι)، لأنّ الذين يقومون بذلك يُعلّمون فرائضَ وتعاليمَ بشرية، يدعوها يسوع "وصايا بشرية"، وكأني به يوجّه ضربة قاسية إلى الذين يعتبرون أنفسهم حُماةَ تراث عظيم، فإذا بهم مُعَرَّون من أي اعتبار. يضع يسوعُ "تقليد الشيوخ" في مقابل الشريعة المكتوبة، مُبيّنًا كيف أنّ خصومه يتجاوزون الشريعة ويتعلّقون بتقاليدهم (مر ٧: ٣، ٨)، بهدف أن يحفظوها ويثبتوها (آ ٩)، ولكن أيضًا "ليضعوها على رقاب الناس دون أن يمسّوها بإحدى أصابعهم" (لو ١١: ٤٦). لقد أراد يسوع أن يبيّن أنّ في "تقليد الشيوخ" خطرًا، لأن هذا التقليد قد ألغى الشريعة، وأفرغها من سلطانها.

ينبغي إذًا أن يكون لعبارةِ "كلمةِ الله" (ο λογος του θεου) ذاتُ المعنى الذي لعبارة "وصية الله" (η εντολη του θεου)؛ هذه الأخيرة هي فريدة في مرقس؛ نجد موازاتِها، في متّى، فقط في ١٥: ٦(١٦)، بينما في لوقا هي شائعة،

---

(١٥) וַיֹּאמֶר אֲדֹנָי יַעַן כִּי נִגַּשׁ הָעָם הַזֶּה בְּפִיו וּבִשְׂפָתָיו כִּבְּדוּנִי וְלִבּוֹ רִחַק מִמֶּנִּי וַתְּהִי יִרְאָתָם אֹתִי מִצְוַת אֲנָשִׁים מְלֻמָּדָה׃

(١٦) οὐ μὴ τιμήσει τὸν πατέρα αὐτοῦ· καὶ ἠκυρώσατε τὸν λόγον τοῦ θεοῦ διὰ τὴν παράδοσιν ὑμῶν.

وليس لها فقط معنى "وصية الله" (رج، مثلاً، لو ٨: ٢١[١٧]؛ ١١: ٢٨[١٨])، إذ تشير أيضًا إلى تبشيرِ يسوع (لو ٥: ١[١٩]؛ ٨: ١١[٢٠]). يُبرِز التكرار الثلاثي في مر ٧: ٨، ٩، ١٣ مضمونَ هذه المواجهة بين "وصية الله" وبين "تقليد البشر"، ومضمونَ المَهَمّةِ التي يقوم بها يسوع بحفظِ إرادةِ اللهِ الحقّة، من خلال حِفظِ وصية الله التي أُعطِيَت من أجل خلاص البشر.

"يحمل التقليد إرثًا من الماضي إلى الحاضر، ولذا هو من الثوابت في الجماعة البشرية، في الأزمنة الغابرة كما في الحديثة على حدٍّ سواء"[٢١].

نصادف عبارة "تقاليد الشيوخ" فقط في مت ١٥: ٢؛ مر ٧: ٣ و٥، في ارتباط مع الفريسيين والكتبة ويهود آخرين، وعاداتهم المتعلّقة بغسل الأيدي الطقسي... وتُعتَبَر من قبل الفريسيين وبعض اليهود الآخرين أنها مقيِّدة، حتى ولو لم تكن مكتوبة في التوراة. ويتكلم فيلون على تقاليد غير مكتوبة سُلِّمَت إلى الأجيال اللاحقة[٢٢] (رج سي ١: ١).

وفي نصوص قمران نجد نقدًا لاذعًا موجَّهًا إلى "الساعين في إثر الأشياء الناعمة (דורשי חלקות)، الذين يُعتَبَرون أنهم الفريسيون، لاتّباعهم تقاليدهم الخاصة وليس شريعة الله"[٢٣].

---

(١٧) ὁ δὲ ἀποκριθεὶς εἶπεν πρὸς αὐτούς· μήτηρ μου καὶ ἀδελφοί μου οὗτοί εἰσιν οἱ τὸν λόγον τοῦ θεοῦ ἀκούοντες καὶ ποιοῦντες.

(١٨) αὐτὸς δὲ εἶπεν· μενοῦν μακάριοι οἱ ἀκούοντες τὸν λόγον τοῦ θεοῦ καὶ φυλάσσοντες.

(١٩) [19] Εγένετο δὲ ἐν τῷ τὸν ὄχλον ἐπικεῖσθαι αὐτῷ καὶ ἀκούειν τὸν λόγον τοῦ θεοῦ καὶ αὐτὸς ἦν ἑστὼς παρὰ τὴν λίμνην Γεννησαρέτ.

(٢٠) Ἔστιν δὲ αὕτη ἡ παραβολή· ὁ σπόρος ἐστὶν ὁ λόγος τοῦ θεοῦ.

(٢١) "Tradition", *The Anchor Bible Dictionary*, Doubleday: NY-London-Toronto-Sydney 1992.

(٢٢) *Les oeuvres de Philon d'Alexandrie.* 24, *De specialibus legibus* I et II, Paris: Cerf, 1975, 4: 28: 149-150.

(٢٣) 1QH 4: 7, 11.

ويشدّد بعض اليهود الرفضيّون على أصل تقاليد الشيوخ البشريّ، ويضعونها في تعارض مع شريعة الله (مت ١٥: ٣-٩؛ مر ٧: ٨-١٣؛ رج كول ٢: ٢٢؛ تيط ١: ١٤).

ويعتقد باومغرتن أن المواقف ضدّ "تقليد الشيوخ" في مت ١٥: ٣ ومر ٧: ٨ قد لا تكون انطلقت مع يسوع أو أتباعه، بل قد تكون شعارًا شائعًا ضد الفريسيين قبل ذلك(٢٤).

"التقاليد تعاليم بشرية، والوصايا تعاليم الله، فلا يسع الفريسيين فرض التقاليد كأنها وصايا إلهية. يتحدّث يسوع في مت ١٥: ٣-٩ عن قيمة تقاليد الفريسيين بالنسبة إلى وصايا الله"(٢٥).

نصادف تركيزًا من هذا النوع من قِبَل يسوع في مر ٨: ٣٣ حيث عبارة τα του θεου، أي "أفكار الله"، هي في مقابل τα των ανθρωπων، "أفكار البشر" (رج ٧: ٨)، وحيث يُوَبِّخُ بطرس بقوّة بسبب اعتراضه على مصير يسوع: "إذهب خلفي، يا شيطان، لأنك لا تفطن لِما لله لكن لما للناس" (مر ٨: ٣٣). هنا أيضًا يَظهر يسوعُ عليمًا بإرادة الله، يحفظها ويفسّرها. وفي عبارة του θεου τα، أي "أفكار الله"، يُعَبَّر عن العَوْد البسيط والبَحْتِ إلى الله؛ لم يَعُدْ هناك التخصيصُ أو التحديد، أي الكلام على "وصية الله" أو "كلمة الله"، بل فقط على "أفكار الله" (τα του θεου). إنّه لحاسمٌ أنّ الأمرَ يأتي من الله، وأنّه عائدٌ له. وَفْقَ إطار النص، ما يُرْبَطُ بالله هو مصيرُ يسوع، الذي سبق وأُعلِنَ عنه: "وبدأ يعلّمهم أنه ينبغي لابن البشر أن يتألّم كثيرًا ويُرذَل من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، ويُقتَل ويقوم في اليوم الثالث" (٨: ٣١)؛ يلي ذلك طلبُ اللحاقِ بيسوع على هذا

(٢٤) A. BAUMGARTEN, "The Pharisaic Paradosis", *HTR* 80 (1987) 63-77.

(٢٥) حاشية مت ١٥: ٣، **في الكتاب المقدس، العهد الجديد**، كلية اللاهوت الحبرية، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان ١٩٩٢، ص ١٠٦.

الدرب: "مَن أراد أن يتبعني، فليكفر بنفسه، ويحمل صليبه ويتبعني" (٨: ٣٤). يظهر يسوعُ وطريقُه كوسيطَي إرادةِ اللهِ للبشر (رج ١٠: ١٧-٣١).

٤ - وصية (موسى) ونظام الخليقة (مر ١٠: ٥)

يتفرّد مرقس بتعبير "لقساوة قلوبهم"، ويرى فيه السبب الحقيقيّ الذي حال دون إيمان الفرّيسيّين بيسوع، وفَهْمِهم لرسالته، ودَفْعِهم إلى التصميم على قتله. جاء في مر ١٠: ٥: "فقال لهم يسوع: لقساوة قلوبكم كتب لكم موسى هذه الوصية" (رج مر ٦: ٥٢؛ ٨: ١٧؛ يو ١٢: ٤٠؛ روم ١١: ٢٥؛ أف ٤: ١٨). تثير هذه القساوة غضب يسوع وسخطه وحزنه، كما نقرأ في مر ٣: ٥: "أَجالَ يسوعُ فيهمِ الطَّرْفَ ساخِطًا، حَزينًا لِقَساوَةِ قُلُوبِهم". ويستنتج مرقس أن قساوة القلب تؤدّي حتمًا إلى عدم الفهم، كما دوّن في ٦: ٥٢: "لم يَفهَموا ما كانَ من أَمْرِ الأَرغفةِ لقَساوَةِ قُلُوبِهم". كذلك في ٨: ١٧ يورد مرقس حكمًا مماثلاً تلفّظ به يسوع: "وعَلِمَ يسوع، فقالَ لهم: لِمَ تُفكِّرونَ أَنْ ليسَ لدَيكُم خُبز؟ أَفَلمَّا تَفهَموا وتَعُوا؟ أَفي القُلوبِ قَساوَة ؟".

لقد أدّت هذه القساوة إلى أن يعدّل موسى حتّى في وصيته؛ لا تُربَطُ الوصية هنا بالله بل بموسى، كما نقرأ في مر ١٠: ٤: "إنّ موسى أجاز للرجل أن يكتب لامرأته كتاب طلاق فتُطلَق"(٢٦). المقصود هو أكثر من وصية: إنّه تنازل بسبب "قساوة قلبهم" (١٠: ٥)؛ ونقرأ في ٧: ٦: "فأجابهم قائلاً: حسنًا تنبّأ عليكم أشعيا، أيها المراؤن، كما هو مكتوب: هذا الشعب يكرمني بشفتيه، وأمّا قلوبهم فبعيدة منّي" (أش ٢٩: ١٣). لم يَعُدْ التعارض بين "تقليد البشر" وبين "وصية الله"، بل بين ترتيبات الشريعة الموسوية(٢٧)، وبين النظام الذي وضعه اللهُ الخالقُ منذ

(٢٦) J. JEREMIAS, *La predicazione di Gesù*, tr. it. di F. Montagnini, Paideia: Brescia 1972, pp. 329-334.

(٢٧) "إذا اتّخذ رجل امرأة وصار لها بعلاً، ثمّ لم تحظَ عنده لعيب أنكره عليها، فليكتب لها كتاب طلاق ويدفعه إلى يدها ويصرفها من بيته" (تث ٢٤: ١).

الخلق[٢٨] بالذات (مر ١٠: ٧–٨؛ رج تك ٢: ٢٤؛ أف ٥: ٣١؛ ١ كور ٦: ١٦). في الحالتَين، يسوع هو الذي يفسِّرُ بطريقةٍ أصيلةٍ إرادةَ الله، وينسب إلى ذاته سلطانَ تفسيرٍ كهذا. في الحالتَيْن يقودُ يسوعُ إلى إرادة الله الأصلية في وجه أيّ مَسٍّ بشريٍّ بها، وفي وجه أيّ تنازلٍ لاحق بسبب قساوة قلوبهم. هو يُبرِز علاقةً خاصّةً بإرادة الله الأصلية.

٥– وصايا الله واتّباع يسوع (مر ١٠: ١٩)[٢٩]

"أنت تعرفها الوصايا: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد زورًا، لا تظلم، اكرم أباك وأمك".

لقد عالج المفسّرون آيات مر ١٠: ١٧–٢٧ بكثرة، ممّا يدلّ على أهمّيتها في الإطار الذي نحن فيه. بعد سؤال الغنيّ: "ماذا ينبغي أن أفعل حتّى أنال الحياة الأبدية؟" (مر ١٠: ١٧)، أحاله يسوعُ إلى الوصايا، كما هي مصاغَةٌ في خر ٢٠: ١٢–١٦، وتث ٥: ١٦–٢٠، واضعًا احترام الوالدين في الأخير: "قال موسى: أكرم أباك وأمّك (τίμα τὸν πατέρα σου καὶ τὴν μητέρα) ، ومن لعن أباه وأمّه فليُقتل قتلاً" (مر ٧: ١٠)؛ ولكن، إلى طلبِ "حِفْظِ وصايا الله" هذه (τὰς ἐντολὰς θεου φυλασσειν، مر ١٠: ٢٠)، أُضيف طلب "اتّباع يسوع" (καὶ δεῦρο ἀκολούθει μοι، آ ٢١). بالنسبة إلى هذا الغنيّ، اتّباعُ يسوع هو مفترضٌ مسبقًا لدخول ملكوت الله (آ ٢١ و٢٣–٢٥). هنا تظهر علاقة هامّة جدًّا: يُوضَع "اتّباعُ يسوع"، على ذات مستوى "حفظ وصايا الله"؛ لا يحلّ هذا الاتّباعُ محلّها، ولكنّه يُطلَب بالإضافة إلى هذه الأخيرة. هكذا يُضْحِي اتّباعُ يسوع، إلى جانب حفظ الوصايا، الشرطَ لدخول ملكوت الله، ولنوال الحياة

(٢٨) "فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكرًا وأنثى خلقهم" (تك ١: ٢٧)؛ "ولذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصيران جسدًا واحدًا" (٢: ٢٤).

(٢٩) رج خر ٢٠: ١٢–١٦؛ تث ٥: ١٦–٢٠؛ ٢٤: ١٤؛ إر ٢٢: ١٣؛ ملا ٣: ٥؛ يع ٥: ٤.

الأبدية. هنا يُطرَح السؤال: مَن يستطيع أن يطلب اتّباعًا كهذا، أي "بِعْ ما لك وأعطِه للمساكين، وتعالَ اتبعني" (آ ٢١)، وأن ينسبَ إلى هذا الاتّباع نتائج كهذه، أي "دخول ملكوت الله" (آ ٢٣)؟ وحدَه يسوع قادرٌ على ذلك.

٦ – الوصية العظمى (مر١٢: ٢٨، ٣١)

"وكان كاتب قد سمعهم يتجادلون، واستحسن جواب يسوع، فدنا منه وسأله: ما أُولى الوصايا كلّها؟... أحبب الرب إلهك...[٣٠]؛ أحبب قريبك... ولا وصية أعظم من هاتين"[٣١] (مر ١٢: ٢٨–٣١).

هناك أدب عبريّ متنوّع وغنيّ حول ما يريده الرب من بني إسرائيل من خلال وصاياه، وهناك وجهات نظر مختلفة حول عدد هذه الوصايا؛ فـ"رأى داود أن أوامر الله ونواهيه أحد عشر (مز ١٥: ٢–٥)، ورأى أشعيا أنها ستة (٣٣: ١٥)، وميخا أنها ثلاثة (٦: ٨)، وعاموص أنها واحدة: "أطلبوني فتحيوا" (٥: ٤)، وحبقوق أنها واحدة: "البار بالإيمان يحيا" (٢: ٤)... واختصر يسوع الشريعة بالحبّ: حُبّ الله (تث ٦: ٤–٥)، وحُبّ القريب (لا ١٩: ٣٤)؛ والحُبّان متّحدان، لأن حب الله هو ينبوع حُبّ القريب، ومتميّزان، لأن حُبّ الله غير مقيّد بحدود، ويصل إلى العبادة، وحُبّ القريب محدود حدود حُبّ الذات، فلا يصل إلى العبادة"[٣٢].

إنّ مقدّمة نصّ مر ١٢: ٢٨، ٣١، هي شبيهة بالمقطع المتعلّق بالغني؛ وفي لو ١٠: ٢٥ المقدمة هي أيضًا أكثر شَبَهًا من حيث أنّه هنا يُوضع الشرط لدخول

(٣٠) رج تث ٦: ٤–٥؛ يش ٢٢: ٥؛ لو ١٠: ٢٧.

(٣١) رج لا ١٩: ١٨؛ روم ١٣: ٩؛ غل ٥: ١٤؛ يع ٢: ٨.

(٣٢) **الكتاب المقدس، العهد الجديد**، كلية اللاهوت الحبرية، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان ١٩٩٢، ص ٢٢٣.

الحياة الأبدية. في مرقس، يَنْقُصُ سؤالَ الكاتبِ عنصرُ التجربة (على خلاف ذلك في مت ٢٢: ٣٥؛ لو ١٠: ٢٥). فعندما يُجيبُ يسوعُ الغنيَّ على سؤاله، يعود إلى الاعتراف الأساسي لإيمان العهد القديم، أي إلى "محبّة الله ومحبّة القريب" (تث ٦: ٤-٥؛ لا ١٩: ١٨). يجب لفتُ الانتباه إلى أنّه، تحت كلمة "وصيّة" (εντολη، ١٢: ٢٨، ٣١)، تجتمع وصيّتَا "محبّة الله" و"محبّة القريب"، ولكن أيضًا الاعترافُ الأساسي بالإيمان: "إسمع، يا إسرائيل، إنّ الربّ إلهنا ربٌّ واحد" (تث ٦: ٤). تهيمنُ الوصيةُ على الموقف البشريّ الذي يوازي فقط، وعن حقّ، هذه الحقيقة، أي أنّ "الربّ هو الإله والرب الوحيد".

هي خصوصيّة مرقس أنْ يكرّر الكاتبُ كلَّ شيء، وأن يختمَ يسوعُ بالملاحظة التالية: "ما أنتَ من ملكوت الله ببعيد" (١٢: ٣٤). في الإعلان الثنائيّ لهذه الوصية، وفي التأكيد الثنائي على أنّ هذه الوصية هي الأولى (١٢: ٢٩)، وهي الأعظم (١٢: ٣١)، يُبرِزُ مضمونَها غيرَ العاديّ. ولكن، كما في حالة الغنيّ، حيث يُطْلَب أمران: "إتّباع يسوع"، و"حفظُ الوصايا"، يبدو هنا أيضًا أنّ هذه الوصية لا تكفي إطلاقًا. وإذ يستفيد الكاتبُ من هذه الوصية، فهو ليس فقط بعيدًا عن ملكوت الله، بل لا ينتمي إليه. ما ينقص هذا الكاتب، هي معرفةٌ حقيقيةٌ لشخص يسوع، والعلاقة الحميمة معه. على مستوى الوصيّة لا يُضاف شيء، لذا لا يُضاف شيء على العهد القديم؛ إنّه مستوى آخر؛ هو بالأحرى "تفسير" الوصية الأولى التي فيها ينبغي التقدّم وتطبيقها.

٧ - إرادة الله وقُرْبَى يسوع (مر٣: ٣٥)

"هو العامل بمشيئة الله أخي وأختي وأمّي" (مر ٣: ٣٥).

في مر ٣: ٣٥ يجري الكلام على "مشيئة الله" (مت ٦: ١٠؛ ٧: ٢١؛ ١٢: ٥٠؛ ١٨: ١٤؛ ١٦: ٤٢؛ رج ٢١: ٣١؛ لو ٢٢: ٢٤؛ ١٢: ٤٧؛ الأمر في يوحنّا هو أكثر شيوعًا). تعبّر "وصيّة الله" عن مشيئته، واستنادًا إلى العلاقة بهذه

المشيئة تُقاسُ علاقة القُرْبَى تجاه يسوع؛ فعلى أساس الطاعة لمشيئة الله تتكوّن القُربَى معه. ضمنيًّا يقول يسوعُ بهذا إنّه شخصيًّا في حالة طاعة تامّة لله. فيه هو بالذات ينبغي أن تكون الصفةُ ذاتُها التي هي أساسُ قُرْبَى الآخرين معه. وهنا يُطرَح السؤال: مَنْ يستطيع أن يدّعيَ ذلك؟ إنّ علاقته هذه بالله تجعل منه أساسَ علاقةِ الآخرينَ به بالذات ومقياسَها. هكذا يُضْحِي الآخرون من ذوي قُرْبَاه بقدر ما يطيعون مشيئة الله.

من تواصل ٣: ٣٥ ("هو العامل بمشيئة الله أخي وأختي وأمّي") مع ٣: ٣٤ ("ثمّ أجال الطَرْف في الجالسين حوله، وقال: ها هم أمّي وإخوتي") يتبع أنّ الذين يوجدون حول يسوع يطيعون مشيئة الله. يُدعَى الذين يلتئمون حوله "أمّي وإخوتي"؛ وتُطبَق ذات التسمية "أخي، وأختي، وأمّي" على الذين يطيعون مشيئة الله. لا يتكلّم يسوعُ فقط على ارتباطه الخاصّ بمشيئة الله، بل أيضًا على أنّ الالتئامَ حوله، وسماعَ كلمتِه يوازيان مشيئةَ الله. تَجعلُهم طاعتُهم لهذه المشيئة يلتئمون حول يسوع، وهنا تؤسِّس الطاعةُ عينُها قرابتَهم معه. بطاعتهم لله هم ينقادون إذًا إلى يسوع، للتفتيش عن الشركة معه، وسماعِ كلمته. بطاعتهم لله يُضْحُون ذوي قُربَى مع يسوع.

في هذا المقطع لا يجري الكلام على وصايا الله، إذ تهيمن على المقطع العلاقةُ مع شخص يسوع، والعلاقةُ مع مشيئة الله. يبدو أنّ هنا تأكيدًا على موازاةٍ متبادلة: أن يكون المرء مرتبطًا بشخص يسوع، وبطريقة مصغية ومنفتحة، يعني طاعةَ مشيئة الله، وطاعةُ مشيئة اللهِ تحمل في ذاتها سماعَ تعليمِ يسوع. هكذا يُحَضَّرُ ويُعْلَنُ ما لاحظناه في إطار الوصايا، أي أنّ يسوع هو تجلّي مشيئة الله.

خاتمة

وصيةُ الله هي حقيقةٌ مركزية في العهد القديم؛ هي من الصِيَغ التي من خلالها يتوجّه اللهُ إلى شعبه، ويُظهرُ مشيئته. في المقاطع التي دُرِسَت أعلاه، يتّخذ يسوعُ

موقفًا تجاه هذا الواقع المركزيّ؛ يحسن أن نشير إلى أنّه، في كلّ هذه المقاطع، المقصود هو وصايا العهد القديم. بإمكاننا أن نلاحظ بعض التقدّم والنمو والتوسّع. يطلب يسوعُ دائمًا حفظ وصايا العهد القديم، ولكنّه يستشهد فقط بالوصايا العشر، خاصة بالوصية الكبرى، ولا يستشهد بواحدة من باقي التوصيات الأخرى. هو يشدّد على وصية الله الأصليّة، ويميّزها عن التقاليد البشرية وما تلاها. يرمي موقفه إلى تنقية نظام وصايا العهد القديم، والإرشادِ إلى مشيئة الله الأصليّة، وكأني به يبيّن أن "أهمية التقليد تكمن في تدمير الحواجز التي تعارض الشريعة، وفي تقبّل وصية الله"(٣٣).

لا يضيف يسوع وصايا أخرى، ولكن، على أساس وصايا العهد القديم، وعلى أساس حفظها، يطلب، في خطوة ثانية، اتخاذ موقف تجاه شخصه الذي يُعَبَّر عنه بـ"الاتّباع"، وبـ"الاعتراف" بأصله الحقيقيّ. إنه لَذي مدلولٍ كبير أنّ هذا الطلب يتمّ في إطار "الوصايا الإلهية"، وأنّه مرتبط بـ"دخول ملكوت الله" أو "وراثته". في وصايا الله تتجلّى إرادة الله تجاه الناس، وفي ملكوت الله يشترك الناس في الحياة الأبديّة. بوضع العلاقة بشخص يسوع في هذا الإطار، يُشار إلى أنّه، بالإضافة إلى وصايا العهد القديم، في شخص يسوع وفي طريق يسوع تتجلّى إرادة الله، وأنّ الاتصال بيسوع يصل بملكوت الله. لا يلغي تجلّي إرادة الله في شخص يسوع تجلّي إرادتِه في وصايا العهد القديم، بل يفسّرها. في شخص يسوع نجد إرادةَ الله، ويتمّ الارتباط بالله وبسيادته المحيية.

(٣٣) بولس الفغالي، **إنجيل مرقس. بشارة يسوع المسيح**، سلسلة دراسات بيبلية ٨، الرابطة الكتابية، المكتبة البولسية ١٩٩٥، ص ٥١٣.

مراجع

دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة، القاهرة (دون تاريخ).

دلورم جان ، **دليل إلى قراءة الإنجيل كما رواه مرقس** (نقله إلى العربية بولس الفغالي؛ دراسات في الكتاب المقدس، رقم ١٤؛ دار المشرق، بيروت، ١٩٨٩).

الفغالي بولس، **إنجيل مرقس. بشارة يسوع المسيح**، سلسلة دراسات بيبلية ٨، الرابطة الكتابية، المكتبة البولسية ١٩٩٥.

ـــــ، **وصيات الآباء الاثني عشر، وصية إبراهيم، وصية موسى، وصية أيوب**، سلسلة على هامش الكتاب ٤، الرابطة الكتابية، لبنان ٢٠٠٠.

ـــــ، **كتاب اليوبيلات أو التكوين الصغير**، سلسلة على هامش الكتاب ٥، الرابطة الكتابية، لبنان ٢٠٠٠.

الكتاب المقدس، العهد الجديد، كلية اللاهوت الحبرية، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان ١٩٩٢.

يوسيفوس فلافيوس، **العتيقات اليهودية**.

هافنت ألفرد ، **يسوع كما في مرقس** (سلسلة الدراسات البيبلية، رقم ٢؛ منشورات المكتبة البولسية، ١٩٨١).

Anchor (The) Bible Dictionary, Doubleday: NY-London-Toronto-Sydney 1992.

BAUMGARTEN A., "The Pharisaic Paradosis", *HTR* 80 (1987) 63-77.

FOCANT Camille, *L'évangile selon Marc*, Cerf: Paris 2004.

_____, *Marc, un évangile étonnant*, Leuven University Press 2006.

JEREMIAS J., *La predicazione di Gesù*, tr. it. di F. Montagnini, Paideia: Brescia 1972.

NOLLI Gianfranco, *Evangelo secondo Marco. Testo greco, neovolgata latina, analisi filologica, traduzione italiana*, Libreria Editrice Vaticana: Città del Vaticano ²1980.

PESCH R., "Pur et impur : précepte humain et commandement divin (Mc 7)", *AssSeig* 53 (1970) 50-59.

_____, *Il vangelo di Marco. Testo greco e traduzione*, Paideia editrice: Brescia 1980. Titolo originale: *Das Markusevangelium*, Verlag Herder: Freiburg im Breisgau, London ²1977.

Oeuvres (*Les*) *de Philon d'Alexandrie.* 24, *De specialibus legibus* I et II, Paris: Cerf, 1975.

Qumran: 1QH 4: 7, 11.

SANDERS Ed Parish, *Paolo e il giudaismo palestinese. Studio comparativo su modelli di religione*, Paideia Editrice: Brescia 1986. Titolo originale: *Paul and Palestinian Judaism. A Comparison of Patterns of Religion*, SCM Press: London 1977, ²1984.

SCHÄFER P., "Die Torah der Messianischen Zeit", *ZNW* 65 (1974) 27-42.

Theological Dictionary of the New Testament, edited by G. Kittel, Grand Rapids: Michigan 1972.